



حنيننا إليك يا شام يزداد كل يوم، وحبنا لك يتعاظم مع الأيام، وشوقنا إليك يفوق الخيال، ويتجاوز حنين العشاق، جبأً وولهاً وتعلقاً، فأنت في القلوب مزروعة، وفي النفوس موسومة، ولك في العقل والوجدان مكان، محفورٌ أعمق من النّقش، وأثبتت من قاسيونك في الأرض.

يا شام ما عرفنا مقامك وقدرك في قلوبنا إلا عندما غادرناك، وأجبرنا على فراقك، ورحلنا منك، ولكننا إليك سنعود، وفي ربعك سنكون، وفي رحابك سنجدول، وتحت سقوف حواريك القديمة سنبقى.
سنعود يا شام إلى شوارعك وأزقتك، وإلى حاراتك القديمة، ومقاهيك الشهيرة، وسنصلّي من جديد في مسجدك الأموي، وسندخل سوق الحميدية، وسنجلس لدی بکداش، ونأكل من بوظة الشام الشهيرة، وننظر في وجوه الناس الكثيرة، الشامية والغربية، المقيمة والوافدة الزائرة.

ستقلنا أرضك يا شام، وستظللنا سماؤك، وستتنسم من عبيرك، وسنشم رائحة ياسمينك، وسنصل إلى قمة جبل قاسيون، وسنجلس على ضفاف بردی، وسنخرج إلى بساتينك، وسنأكل في ربوتك، وسننشرب من عين بقينك، وستبقى يا شام ياسمينة الدنيا وروض ربّيعها الأخضر.

سيجري في جنباتك نهر بردی كما كان، وستعود مياهه نقيةً زكية، رقراقةً صافية، تزكي بها النفوس، وتسعد معها القلوب، وستدب فيه الحياة من جديد، وسيعود ما حوله رياناً أحضراً، يرتوي من ماء الشام النقى، ويخرج من أرضه نباتاً ينعاً طيباً.
قد اشتقتنا إليك يا شام، فلا تطيلين الغياب، ولا توجعيين القلب أكثر، ولا تدمين العين، ولا تسکبین من عيوننا مزيداً من الدمع، فقد والله أصباناً من الوجع القرح، وحل بنا من الألم السقُم، وسكن في قلوبنا من الحزن سواد قاتم، وباتت حياتنا بعيداً عنك يتمُّ وتشردُ وضياعُ، وتهيُّ وفقرُ وحاجةُ والتّياعُ.

فيك يا شام تركنا بيونا، وتخلينا عن كل متعنا، خرجنا منك تاركين أثوابنا، وفساتين أفراحنا، وفي بيونا مازالت كتبنا، ودفاتر أولادنا، وألعاب أطفالنا، وأسرة صغارنا، وبقايا كل ذاكرتنا، فيك يا شام تركنا قلوبنا ورحلنا عنك بأجسادنا، وعيوننا إليك تتطلع كل يوم، تكاد تخلع من محاجرها شوقاً إليك، وحنيناً إلى الرجوع والعودة.

فلا ننساك والله يا شام، ولا عنك نغيب، ولا منك نرحل، وإليك سنعود، وستعمرين من جديد، وستغدو فيك الحياة جميلة كما كانت، فأنت الماضي التليد، والحضارة القديمة، والتاريخ الممتد، والتراث العميق، وعلى ترابك سار الأولون، وخطا القادة والأمم السابقون، رسموك لنا عاصمة، ولأمتنا رأيّة ومنارة، ستبقى قائمة، وستعود قاهرة، ترنو إليها العيون، وتهفو لزيارتها القلوب يا شام ...

المصادر: